مكتبة الطفل لجيل

قَافِلَةٌ بِجَالِ الْفَجْرِ

إعداد: أم جليل مهني





مكتبة الطفل لجيل

قَافِلَةٌ بِجَالِ الْفَجْرِ

إعداد: أم جليل مهني

تم إعداد هذا الكتاب دعما لقافلة رجال الفجر، وعليه فإننا نضعه بين يدي كل صاحب همة محب لدينه وأمته من أجل طباعته ونشره بين أبنائنا مجانا، وأجره على ربه يوم يوفّى العاملون لله أجرهم مضاعفا.



بَيْنَمَا كَانَ أُسَامَةُ، ذُو السَّبْعِ سنوات، جَالِسًا أَمَامَ جِهَازِ الْحَاسُوبِ، يجول بِبَصَرِهِ بَيْنَ مَقَاطِعِ فِيدْيُوهَاتٍ تَرْبَوِيَّةٍ، إِذْ لَمَعَتْ عَيْنَاهُ حِينَ شَاهَدَ عَلَى شَاشَتِهِ كَلِمَاتٍ خَاطِفَةً لَفَتَتِ انْتِبَاهَهُ: «قَافِلَةُ رِجَالِ الْفَجْرِ».

شَدَّهُ الْعُنْوَانُ، فَنَقَرَ عَلَيْهِ بِفُضُولٍ؛ فَإِذَا بِهِ يَرَى تَقْرِيرًا مُؤَثِّرًا عَنْ مُبَادَرَةٍ فَرِيدَةٍ فِي الْجَزَائِرِ الْحَبِيبَةِ، قَادَهَا مُعَلِّمُ قُرْآنٍ مُخْلِصٌ يُدْعَى «عُمَر».



كَانَ الْمُعَلِّمُ "عُمَرُ" يَصْطَحِبُ كُلَّ يَوْمٍ جَمْعًا مِنَ الْأَطْفَالِ الصِّغَارِ، الَّذِينَ هُمْ فِي سِنِّ أُسَامَةَ وَأَصْغَرَ، مَاشِينَ عَلَى الْأَقْدَامِ فِي هُدُوءِ اللَّيْلِ، قَاصِدِينَ الْمَسْجِدَ لِأَدَاءِ صَلَاةِ الْفَجْرِ فِي جَمَاعَةٍ، رَغْمَ بُرُودَةِ الطَّقْسِ.

كَانَ الْمَنْظَرُ بَدِيعًا؛ وُجُوهٌ مُشْرِقَةٌ تَتَلَأْلَأُ بِالْإِيمَانِ، وَخُطُوَاتٌ يَمْلَؤُهَا الْيَقِينُ، تَتْرُكُ أَثَرَهَا الطَّيِّبَ عَلَى الطُّرُقَاتِ، وَبَسَمَاتٌ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ دِفْئًا. لَقَدْ حَقَّقَتْ هَذِهِ الْمُبَادَرَةُ قَبُولًا وَاسِعًا وَمَحَبَّةً عَارِمَةً فِي قُلُوبِ الْعَائِلَاتِ الْجَزَائِرِيَّةِ الْأَصِيلَةِ.



ولكن لَمْ يَلْبَثِ الْمَقْطَعُ أَنْ عَرَضَ جَانِبًا آخَرَ فَعَلَى الْجَانِبِ الْمُقَابِلِ، ظَهَرَتْ أَصْوَاتٌ شَاذَّةٌ لِفِئَةٍ مِمَّنْ يَسْتَاؤُونَ مِنْ مَظَاهِرِ التَّدَيُّنِ والِالْتِزَامِ بِقِيَمِ الْإِسْلَامِ،

فَبَدَؤُوا يُشَكِّكُونَ فِي الْمُبَادَرَةِ، وَيُطْلِقُونَ حَمَلَاتِ تَشْوِيهٍ مَحْمُومَةً عَجَّتْ بِهَا الْمَنَصَّاتُ؛ يَزْعُمُونَ كَذِبًا أَنَّ الِاسْتِيقَاظَ مُبَكِّرًا «خَطَرٌ جَسِيمٌ عَلَى صِحَّةِ الْأَطْفَالِ»، إِذْ إِنَّ الْأَطْفَالَ يَحْتَاجُونَ إِلَى سَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ مِنَ النَّوْمِ لِيَكُونَ نُمُوُّهُمْ طَبِيعِيًّا، وَأَنَّهُ يُدَمِّرُ تَحْصِيلَهُمُ الدِّرَاسِيَّ؛ فِي مُحَاوَلَةٍ بَائِسَةٍ لِوَأْدِ الْمُبَادَرَةِ فِي مَهْدِهَا، وَنَزْعِ الْهُوِيَّةِ وَطَمْسِ الْمَعَالِمِ الْإِسْلَامِيَّةِ.



تَوَقَّفَ أُسَامَةُ عَنِ الْمُشَاهَدَةِ، وَتَمَلَّكَهُ شُعُورٌ مُخْتَلِطٌ بَيْنَ الْإِعْجَابِ الْعَارِمِ بِقَافِلَةِ رِجَالِ الْفَجْرِ، وَالْحَيْرَةِ مِنْ تِلْكَ الِاتِّهَامَاتِ الْغَرِيبَةِ.

فَأَغْلَقَ الْحَاسُوبَ، وَذَهَبَ إِلَى وَالِدَيْهِ فِي غُرْفَةِ الْجُلُوسِ، وَقَدْ كَانَ وَالِدُهُ إِمَامَ مَسْجِدٍ، وَوَالِدَتُهُ مُعَلِّمَةَ قُرْآنٍ كَرِيمٍ.

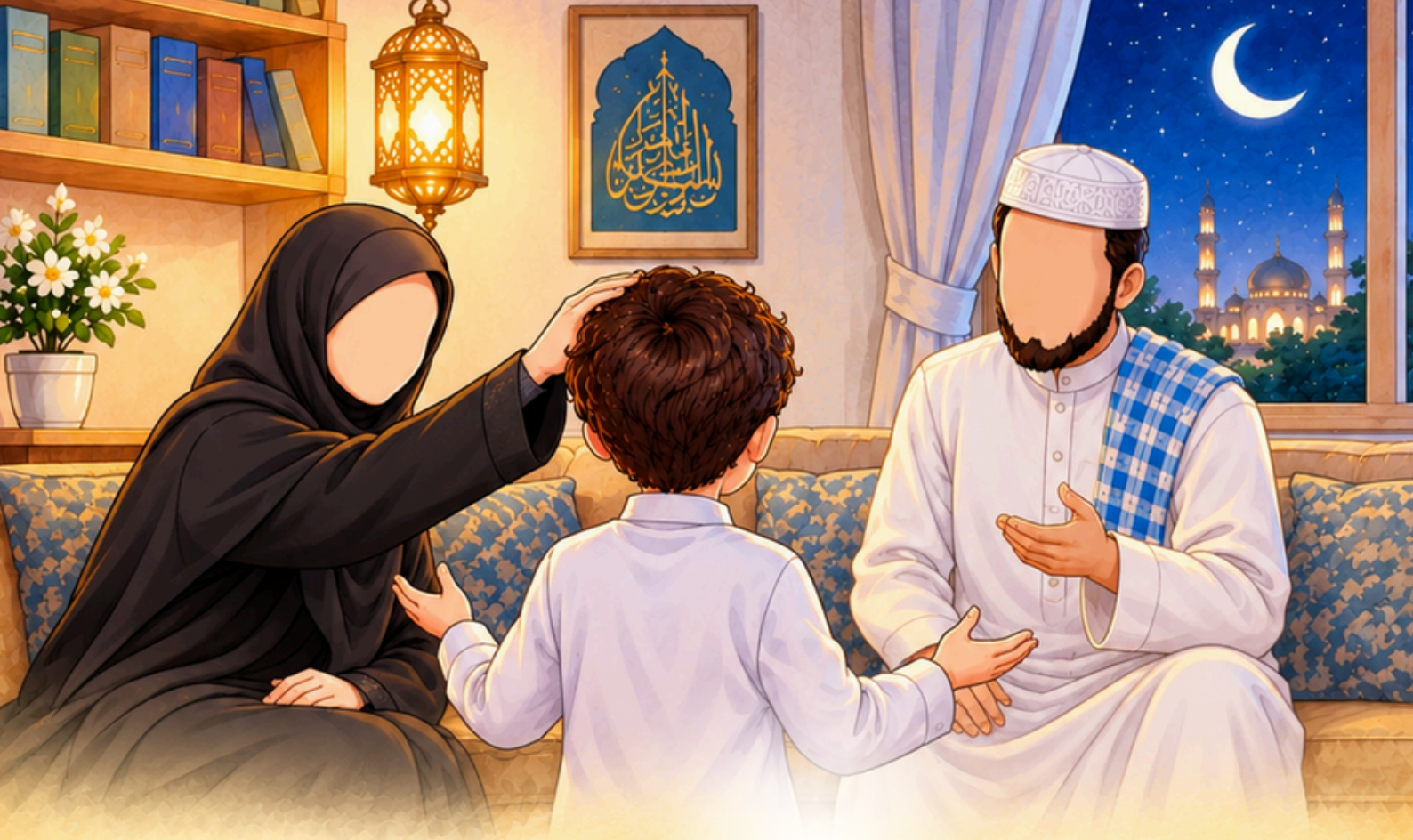

أَقْبَلَ أُسَامَةُ عَلَى وَالِدَيْهِ مُسْرِعًا وقال بِنبرةٍ يَشُوبُهَا التَّسَاؤُلُ:

«يَا أَبِي، يَا أُمِّي! رَأَيْتُ الْيَوْمَ مَقْطَعًا عَجِيبًا عَنْ (قَافِلَةِ رِجَالِ الْفَجْرِ) فِي الْجَزَائِرِ،وَلَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ عَلَى الْإِنْتَرْنِتِ يُحَارِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ إِنَّ هَذَا الْعَمَلَ ضَارٌّ بِصِحَّةِ الْأَطْفَالِ وَدِرَاسَتِهِمْ! فَهَلْ هَذَا صَحِيحٌ؟».
ابْتَسَمَ الْوَالِدُ ابْتِسَامَةً حَانِيَةً، بَيْنَمَا اقْتَرَبَتِ الْأُمُّ بِحَنَانِهَا، وَمَسَحَتْ عَلَى رَأْسِهِ قَائِلَةً:

«بُنَيَّ الْحَبِيبَ، اعْلَمْ أَنَّ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ لَنْ يُرْضِيهِمْ يَوْمًا أَنْ يَرَوْا أَجْيَالَ الْأُمَّةِ تَعُودُ إِلَى مَصَادِرِ عِزِّهَا. تَعَالَ نَتَحَدَّثُ فِي هَذَا الْأَمْرِ بِعُمْقٍ».

أَخَذَ الْأَبُ فِي الْحَدِيثِ قَائِلًا:
«يَا بُنَيَّ، إِنَّ صَلَاةَ الْفَجْرِ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا، وَهِيَ سِرُّ الْبَرَكَةِ، وَمِفْتَاحُ الْأَمَانِ وَالِاطْمِئْنَانِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ»؛ أَيْ: فِي حِفْظِهِ وَأَمَانِهِ طَوَالَ الْيَوْمِ! هَلْ يَخَافُ مَنْ كَانَ فِي حِفْظِ اللَّهِ شَيْئًا؟».

ثُمَّ تَدَخَّلَتِ الْأُمُّ بِصَوْتِهَا الْعَذْبِ، تُوَضِّحُ الْجَانِبَ الْعِلْمِيَّ وَالتَّرْبَوِيَّ، فَقَالَتْ:
«أَمَّا مَا يَزْعُمُونَهُ عَنْ ضَرَرِهِ عَلَى الصِّحَّةِ وَالدِّرَاسَةِ، فَهُوَ كَذِبٌ صَرِيحٌ؛ بَلْ عَلَى الْعَكْسِ تَمَامًا! الِاسْتِيقَاظُ مُبَكِّرًا يَمْلَأُ الرِّئَتَيْنِ بِالْأُكْسُجِينِ النَّقِيِّ فِي هُدُوءِ الصَّبَاحِ، وَيُنَشِّطُ الدَّوْرَةَ الدَّمَوِيَّةَ، وَيَجْعَلُ الْعَقْلَ فِي أَتَمِّ الْجَاهِزِيَّةِ لِلتَّحْصِيلِ الدِّرَاسِيِّ وَالْحِفْظِ بِدِقَّةٍ وَتَفَوُّقٍ. هَلْ تَعْلَمُ يَا أُسَامَةُ؟ كَانَ الْعُلَمَاءُ الْأَجِلَّاءُ يُحَصِّلُونَ عُلُومَهُمْ فِي الْبُكُورِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهمّ بارِك لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا».





ثُمَّ رَوَتْ لَهُ قِصَّةً مُلْهِمَةً مِنَ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَظِيمِ، فَقَالَتْ:

«تَذَكَّرْ يَا بُنَيَّ الْإِمَامَ الْجَلِيلَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لَمَّا كَانَ طِفْلًا صَغِيرًا مِثْلَكَ، كَانَتْ أُمُّهُ الْبَطَلَةُ تُوقِظُهُ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَتُعِدُّ لَهُ مَلَابِسَهُ النَّظِيفَةَ، وَتَصْطَحِبُهُ مَعَهَا عَبْرَ الطُّرُقَاتِ الْمُظْلِمَةِ إِلَى الْمَسْجِدِ، تَحْتَسِبُ الْأَجْرَ عِنْدَ اللَّهِ.
فَنَشَأَ ذَلِكَ الطِّفْلُ الْبَطَلُ عَلَى التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ، وَصَارَ إِمَامًا لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ».

تَأَمَّلَ أُسَامَةُ كَلِمَاتِ وَالِدَيْهِ، وَبَدَأَتِ الرُّؤْيَةُ تَتَّضِحُ أَمَامَهُ، فَسَأَلَ بِهِمَّةٍ:
«إِذًا، يَا أَبِي، لِمَاذَا يُحَارِبُهُمْ أُولَئِكَ النَّاسُ؟».

أَجَابَ الْأَبُ بِحَزْمٍ:
«لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ لِلنَّاشِئَةِ أَنْ يَكُونُوا تَبَعًا لِغَيْرِهِمْ؛ يَنَامُونَ طَوِيلًا، وَيَقْضُونَ أَوْقَاتَهُمْ فِي السَّهَرِ عَلَى التَّفَاهَاتِ، وَيَبْتَعِدُونَ عَنْ رَبِّهِمْ، حَتَّى تَضْمَحِلَّ هُوِيَّتُهُمْ، وَتَذُوبَ شَخْصِيَّتُهُمُ الْإِسْلَامِيَّةُ. إِنَّهُمْ يُحَارِبُونَ (قَافِلَةَ رِجَالِ الْفَجْرِ)؛ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ فِيهَا صُورَةً لِعَوْدَةِ الْإِسْلَامِ، وَالْجِيلَ الْمُسْلِمَ الْقَادِمَ مِنْ بَعِيدٍ، الْقَادِرَ عَلَى النُّهُوضِ بِأُمَّتِهِ، وَكَسْرِ قُيُودِ التَّبَعِيَّةِ لِلْغَرْبِ وَالتَّفَاهَةِ».



أَضَافَتِ الْأُمُّ، مُؤَكِّدَةً بِنَبْرَةٍ تَحْفِيزِيَّةٍ:
«وَلِذَلِكَ يَا بُنَيَّ، إِنَّ هَذِهِ الْمُبَادَرَةَ لَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَمَاسًا لَحْظِيًّا أَوْ مُؤَقَّتًا يَنْتَهِي بِمُرُورِ أَيَّامٍ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ ثَبَاتًا دَائِمًا وَعَادَةً مُقَدَّسَةً؛ فَصِلَةُ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ الْفُتُورَ».

ثُمَّ أَرْدَفَ الْأَبُ مُبْتَسِمًا، وَعَيْنَاهُ تَتَلَأْلَآنِ أَمَلًا:

«بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ... إِنَّ هَذِهِ الْمُبَادَرَةَ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي انْطَلَقَتْ مِنْ بَلَدِ الْمِلْيُونِ وَنِصْفِ الْمِلْيُونِ شَهِيدٍ، الْجَزَائِرِ، لَا يَجِبُ أَنْ تَبْقَى مَحْصُورَةً فِيهَا فَقَطْ، بَلْ نُرِيدُ أَنْ تَنْتَقِلَ لِتَعُمَّ كُلَّ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ، لِتُصْبِحَ مَشْرُوعًا تَرْبَوِيًّا إِسْلَامِيًّا عَالَمِيًّا ضَخْمًا، يُوقِظُ الْأُمَّةَ مِنْ نَوْمِهَا، وَيُعِيدُ لَهَا مَجْدَهَا وَرِيَادَتَهَا».

لَمْ يَقِفِ الْوَالِدُ الْإِمَامُ عِنْدَ حُدُودِ التَّوْجِيهِ فَحَسْبُ، بَلْ أَدْرَكَ بِفِطْنَتِهِ وَوَعْيِهِ أَنَّ الْأَفْكَارَ الْعَظِيمَةَ تَحْتَاجُ إِلَى أَفْعَالٍ وَخُطُوَاتٍ عَمَلِيَّةٍ؛ لِتَقِفَ سَدًّا مَنِيعًا فِي وَجْهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ مَظَاهِرَ الْعِزَّةِ وَالتَّدَيُّنِ.



وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي، بَعْدَ أَنْ أَدَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، عَادَ إِلَى مَكْتَبِهِ الْبَسِيطِ الْمَمْلُوءِ بِالْكُتُبِ، وَجَلَسَ أَمَامَ حَاسُوبِهِ، وَفِي عَيْنَيْهِ بَرِيقُ الْأَمَلِ وَالْعَزِيمَةِ.
تَمَثَّلَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «إِنَّ هَذِهِ الْهَجَمَاتِ التَّشْكِيكِيَّةَ الْعَدَائِيَّةَ عَلَى قَافِلَةِ رِجَالِ الْفَجْرِ لَا بُدَّ أَنْ تُوَاجَهَ بِالتَّوَسُّعِ وَالِانْتِشَارِ!».

أَخْرَجَ هَاتِفَهُ، وَبَدَأَ يَتَوَاصَلُ مَعَ كَوْكَبَةٍ مِنْ أَصْدِقَائِهِ الْأَئِمَّةِ وَالدُّعَاةِ الْمُخْلِصِينَ فِي بِلَادٍ عَرَبِيَّةٍ وَإِسْلَامِيَّةٍ مُتَفَرِّقَةٍ؛ فَتَوَاصَلَ مَعَ صَدِيقِهِ الْمِصْرِيِّ فِي الْقَاهِرَةِ، وَالشَّيْخِ السُّورِيِّ فِي دِمَشْقَ الْأَبِيَّةِ، وَالشَّيْخِ الْفِلَسْطِينِيِّ الصَّابِرِ فِي أَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ وَأَئِمَّةِ الْبِلَادِ الْأُخْرَى.



فَتَحَ مَعَهُمْ حِوَارًا عَمِيقًا عَبْرَ الِاتِّصَالَاتِ الْمُتَوَاصِلَةِ، فَقَالَ لَهُمْ بِحَمَاسٍ:

«أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ، إِنَّ مُبَادَرَةَ (قَافِلَةِ رِجَالِ الْفَجْرِ) الَّتِي انْطَلَقَتْ مِنَ الْجَزَائِرِ الْمُجَاهِدَةِ تَتَعَرَّضُ لِحَمَلَاتِ تَشْكِيكٍ مَحْمُومَةٍ مِنْ أَدَوَاتِ التَّبَعِيَّةِ الْفِكْرِيَّةِ، وَهُمْ يُرِيدُونَ إِطْفَاءَ هَذَا النُّورِ فِي قُلُوبِ أَطْفَالِنَا.

وَلَكِنْ... هَيْهَاتَ! لِنَجْعَلْ مِنْ هَذِهِ الْحَرْبِ سَبَبًا لِاتِّسَاعِ نُورِهَا، وَلْنُطْلِقْهَا مَعًا (قَوَافِلَ رِجَالِ الْفَجْرِ) لِتَعُمَّ الْمَسَاجِدَ فِي كُلِّ الْأَقْطَارِ!».

انْتَشَتْ قُلُوبُ الْأَصْدِقَاءِ الطَّيِّبِينَ، وَاسْتَحْسَنُوا الْفِكْرَةَ، وَأَطْلَقُوهَا مُبَادَرَاتٍ وَقَوَافِلَ تَنْطَلِقُ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ.

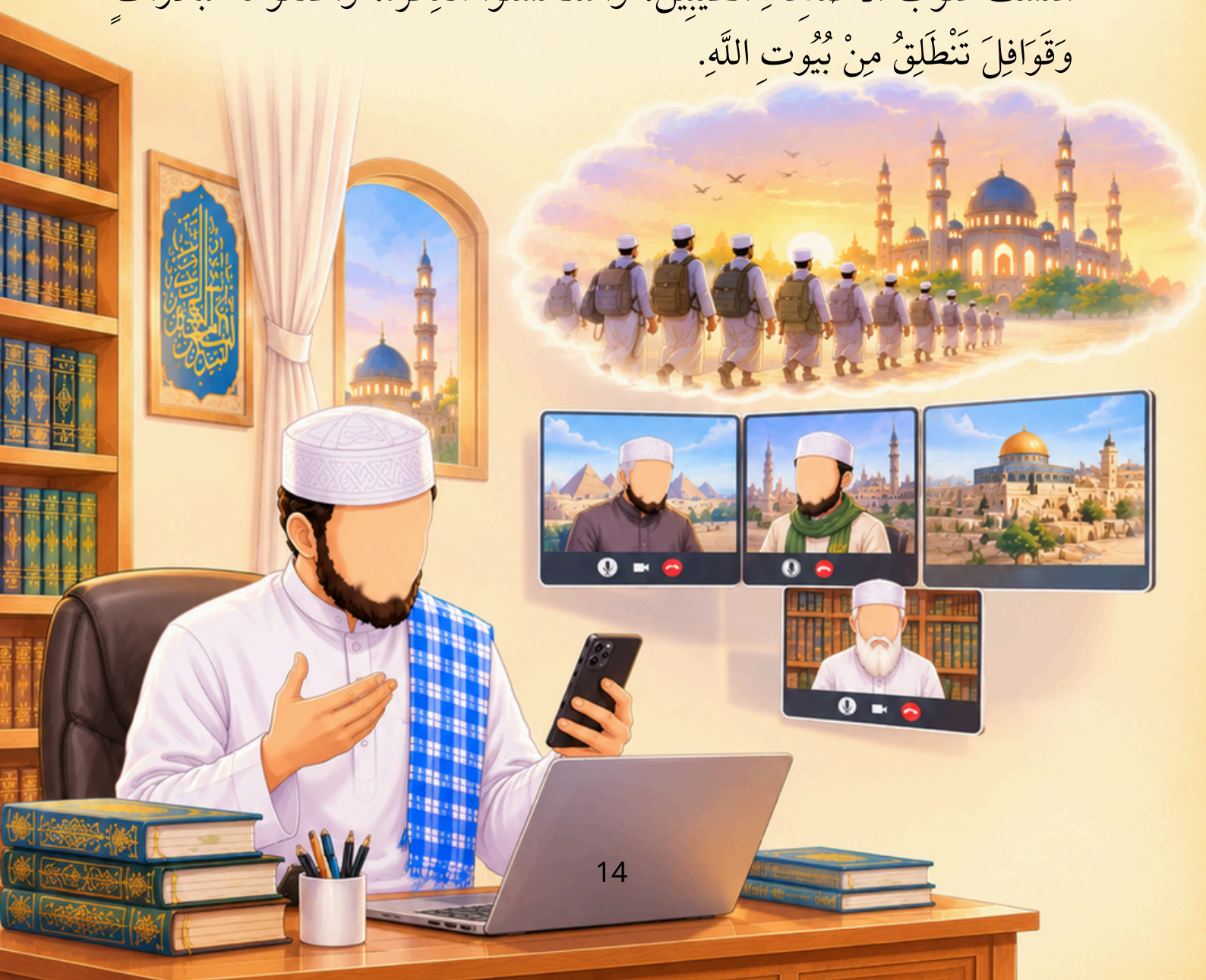

وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ مَعْدُودَاتٌ حَتَّى تَحَوَّلَتِ الْكَلِمَاتُ إِلَى وَاقِعٍ مُشْرِقٍ:
ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُ التَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ فِي مِصْرَ الْكِنَانَةِ، تَلْهَجُ بِهَا قُلُوبُ الْأَطْفَالِ وَالنَّاشِئَةِ فِي حَارَاتِ الْمُدُنِ وَالْقُرَى الْمِصْرِيَّةِ.

وَفِي سُورِيَا الْأَبِيَّةِ، تَمَسَّكَ الْمُرَبُّونَ بِأَصَالَتِهِمْ، فَخَرَجَ أَفْذَاذُ الشَّامِ وَأَطْفَالُهَا فِي صَبَاحَاتِ الشِّتَاءِ الْبَارِدَةِ، يَخْتَرِقُونَ السُّكُونَ بِخُطُوَاتٍ ثَابِتَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ دِفْئًا وَيَقِينًا.
وَفِي فِلَسْطِينَ الْعِزَّةِ وَالْإِبَاءِ، حَيْثُ يَتَعَلَّمُ الْأَطْفَالُ مَعْنَى الثَّبَاتِ الْحَقِيقِيِّ، كَانَ الْخُرُوجُ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ رِسَالَةَ عِزَّةٍ وَكَرَامَةٍ، تَقُولُ لِلْمُحْتَلِّ وَلِلْغَرْبِ مَعًا: إِنَّ هَذَا الْجِيلَ لَا يَمُوتُ وَلَا يُهْزَمُ!

وَهَكَذَا كَانَتِ الْمَشَاهِدُ ذَاتُهَا فِي بَقِيَّةِ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ.



لَمْ تَتَوَقَّفْ قَافِلَةُ رِجَالِ الْفَجْرِ عِنْدَ حُدُودِ أَدَاءِ صَلَاةِ الْفَجْرِ فَقَطْ، بَلْ تَطَوَّرَتْ بِتَوْجِيهَاتِ الْعُلَمَاءِ وَالدُّعَاةِ لِتُصْبِحَ مَسَارًا تَرْبَوِيًّا شَامِلًا يَبْنِي الْأَرْوَاحَ وَالْعُقُولَ وَالْأَجْسَادَ مَعًا.

كَانَتِ الْمَسَاجِدُ تَنْتَظِرُهُمْ بِبَرْنَامَجٍ مُمْتِعٍ وَمُثْرٍ يُشْبِعُ نُفُوسَهُمْ؛ بِحَلَقَاتٍ مُبَارَكَةٍ لِحِفْظِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَتَدَبُّرِ آيَاتِهِ، وَجَلَسَاتِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، والنشاطات التربوية والرياضية والتطوعية.

وَبِهَذَا صَارَتِ الْمَسَاجِدُ مَدَارِسَ حَقِيقِيَّةً لِتَعْلِيمِ الرُّجُولَةِ لِلْأَطْفَالِ، مِنْ خِلَالِ التَّمَسُّكِ بِالْهُوِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالتَّسَلُّحِ بِالْعِلْمِ، وَالْقُرْآنِ، وَالْخُلُقِ، وَالْمَهَارَةِ، وَرُوحِ الْعَمَلِ التَّطَوُّعِيِّ؛ لِيَكُونُوا حَقًّا حُمَاةَ الدِّينِ وَالْأَوْطَانِ، وَحُرَّاسَ الْأُمَّةِ.



دَخَلَ الْأَبُ عَلَى ابْنِهِ أُسَامَةَ، وَبَدَأَ يُرِيهِ تِلْكَ الْإِنْجَازَاتِ الْكَبِيرَةَ لِقَافِلَةِ رِجَالِ الْفَجْرِ الَّتِي عَمَّتِ الْآفَاقَ.

فَهَتَفَ أُسَامَةُ بِفَرَحٍ عَارِمٍ، وَهُوَ يَقْفِزُ فِي مَكَانِهِ:

«مَا أَجْمَلَ هَذِهِ الْمَشَاهِدَ يَا أَبِي! لَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ إِطْفَاءَ هَذَا النُّورِ أَبَدًا؛ فَرِجَالُ الْفَجْرِ الْيَوْمَ لَا يُصَلُّونَ فَقَطْ، بَلْ يَحْفَظُونَ الْقُرْآنَ، وَيَدْرُسُونَ السِّيرَةَ، وَيَبْنُونَ الْمَهَارَاتِ، وَيَخْدُمُونَ الْمُجْتَمَعَ بِنَشَاطٍ وَمَحَبَّةٍ!».



في تِلْكَ اللَّيْلَةِ، ضَبَطَ أُسَامَةُ مُنَبِّهَ سَاعَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ. وَعِنْدَمَا دَقَّتِ السَّاعَةُ مُعْلِنَةً قُرْبَ مَوْعِدِ الْفَجْرِ، لَمْ يَتَرَدَّدْ لَحْظَةً وَاحِدَةً، بَلْ هَبَّ مِثْلَ عُصْفُورٍ نَشِيطٍ، تَوَضَّأَ بِمَاءٍ بَارِدٍ أَنْعَشَ رُوحَهُ، وَارْتَدَى مَلَابِسَهُ النَّظِيفَةَ، وَخَرَجَ يُمْسِكُ بِيَدِ وَالِدِهِ الْإِمَامِ، قَاصِدَيْنِ الْمَسْجِدَ فِي سَكِينَةِ اللَّيْلِ.





وَبَيْنَمَا كَانَا يَمْشِيَانِ، نَظَرَ أُسَامَةُ إِلَى السَّمَاءِ الصَّافِيَةِ الْمُتَلَأْلِئَةِ بِالنُّجُومِ،ثُمَّ نَظَرَ إِلَى وَالِدِهِ بِعَيْنَيْنِ تَبْرُقَانِ فَخْرًا وَيَقِينًا، وَقَالَ بِلِسَانِ الْفَتَى الْمُؤْمِنِ الثَّابِتِ:

«لَنْ أَسْمَحَ لِأَيِّ فِكْرٍ خَبِيثٍ أَنْ يَسْلُبَنِي حَلَاوَةَ الْفَجْرِ وَالْقُرْآنِ، يَا أَبِي... أَنَا الْيَوْمَ رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ الْفَجْرِ، وَغَدًا سَأُصْبِحُ رَجُلًا مِنْ رِجَالِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَخْدُمُ دِينِي، وَأَحْمِي أَرْضِي، وَأُرْضِي رَبِّي».

ضَمَّ الْأَبُ ابْنَهُ إِلَى صَدْرِهِ بِحَنَانٍ، وَتَلَا قَوْلَ رَبِّ الْعِزَّةِ:

{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}.



لماذا صلاة الفجر؟



لماذا صلاة الفجر؟

صَلَاةَ الْفَجْرِ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ اخْتَصَّهَا اللَّهُ تَعَالَى بِمَزِيدٍ مِنَ الْفَضْلِ وَعَظِيمِ الْأَجْرِ، وَجَعَلَهَا بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، وَمِيزَانًا يَتَبَيَّنُ بِهِ صِدْقُ الْإِيمَانِ وَقُوَّةُ الْعَزِيمَةِ.

فَهِيَ صَلَاةٌ تَأْتِي فِي سَاعَاتِ سُكُونِ اللَّيْلِ، حِينَ تَسْكُنُ الْأَجْسَادُ فِي فُرُشِهَا، وَتَسْتَلِذُّ النُّفُوسُ بِالنَّوْمِ وَالرَّاحَةِ، فَيَكُونُ النُّهُوضُ مِنَ الْفِرَاشِ وَمُغَادَرَةُ دِفْئِهِ لِتَلْبِيَةِ نِدَاءِ اللَّهِ اخْتِبَارًا لِلْهِمَمِ وَالْعَزَائِمِ. هُنَاكَ يَتَمَيَّزُ مَنْ قَدَّمَ مَحَبَّةَ اللَّهِ عَلَى رَاحَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ آثَرَ نِدَاءَ الْفَلَاحِ عَلَى لَذَّةِ النَّوْمِ، مُسْتَجِيبًا لِصَوْتِ الْمُؤَذِّنِ: «الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ».

وَلَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِ الْفَجْرِ كُنُوزًا مِنَ الْأَجْرِ وَالْفَضْلِ، وَمِنْ أَعْظَمِهَا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ نُورٌ تَامٌّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ جَزَاءً لِمَشْيِهِمْ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ، وَتَلْبِيَتِهِمْ نِدَاءَ الصَّلَاةِ وَالْفَلَاحِ.




قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

وَمِنْ فَضَائِلِهَا الْعَظِيمَةِ أَنَّ مَنْ يُؤَدِّيهَا يَكُونُ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ وَحِفْظِهِ وَأَمَانِهِ؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ».
فيا له من شَرَف عَظِيم أَنْ يَبْدَأَ الْعَبْدُ يَوْمَهُ وَهُوَ يَرْجُو حِفْظَ رَبِّهِ وَرِعَايَتَه، ويَسْتَشْعِر أنه فِي كَنَفِ مَوْلَاهُ وَأَمَانِهِ.

وَمِنْ مَكَارِمِهَا أَيْضًا أَنَّهَا صَلَاةٌ تَشْهَدُهَا مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ، وَتَرْفَعُ أَخْبَارَ عِبَادِ اللَّهِ الْمُحَافِظِينَ عَلَيْهَا إِلَى رَبِّهِمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ».

فَأَيُّ شَرَفٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَشْهَدَ لَكَ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ بِأَنَّكَ كُنْتَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُصَلِّينَ؟!



قَدْ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى قُرْآنَ الْفَجْرِ بِذِكْرٍ يُبَيِّنُ مَكَانَتَهُ وَفَضْلَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ \[الْإِسْرَاء: 78\].

وَقَدْ بَيَّنَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ أَنَّ الْمُرَادَ بِقُرْآنِ الْفَجْرِ صَلَاةُ الصُّبْحِ، وَأَنَّهَا مَشْهُودَةٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَاجْتَمَعَ لَهَا فَضْلُ الْوَقْتِ وَشَرَفُ الشُّهُودِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ ثِمَارِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ أَنَّهَا مَعَ صَلَاةِ الْعَصْرِ سَبَبٌ لِلْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وَالْبَرْدَانِ هُمَا صَلَاةُ الصُّبْحِ وَصَلَاةُ الْعَصْرِ. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا». فَيَا لَهَا مِنْ غَايَةٍ نَبِيلَةٍ يَسْعَى إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُ! جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَنَجَاةٌ مِنْ عَذَابِ النَّارِ!



وَلَا يَقِفُ الْفَضْلُ عِنْدَ ذَلِكَ، بَلْ يَمْتَدُّ إِلَى أَعْظَمِ نَعِيمٍ يَتَمَنَّاهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ، وَهُوَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ فِي الْجَنَّةِ. فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: 39]. فَارْتَبَطَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ بِرَجَاءٍ عَظِيمٍ، وَغَايَةٍ لَا تَعْدِلُهَا غَايَةٌ.

وَأَمَّا أَجْرُهَا فَلَا تُحِيطُ بِهِ مَقَايِيسُ الدُّنْيَا وَمَتَاعُهَا؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، وَالْمُرَادُ بِهِمَا سُنَّةُ الْفَجْرِ الْقَبْلِيَّةُ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فَضْلَ رَكْعَتَيْنِ مِنَ السُّنَّةِ، فَمَا أَعْظَمَ فَضْلَ الْفَرِيضَةِ وَمَكَانَتَهَا! فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ».



وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنَّهُ جَعَلَ لِمَنْ جَمَعَ بَيْنَ صَلَاتَيِ الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ فِي جَمَاعَةٍ أَجْرًا عَظِيمًا يَعْدِلُ قِيَامَ اللَّيْلِ كُلِّهِ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ». فَيَا لَهَا مِنْ مِنْحَةٍ رَبَّانِيَّةٍ! يَحْظَى بِهَا الْمُؤْمِنُ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى صَلَاتَيْنِ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَجْرُ قِيَامِ لَيْلَةٍ كَامِلَةٍ.

وَمِنْ هُنَا تَظْهَرُ عَظَمَةُ صَلَاةِ الْفَجْرِ فِي تَمْيِيزِ الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ مِنَ الْمُنَافِقِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَثْقَلِ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا». وَقَدْ بَيَّنَ الْإِمَامُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ سَبَبَ ثِقَلِ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ عَلَيْهِمْ هُوَ أَنَّ الْعِشَاءَ تَأْتِي فِي وَقْتِ السُّكُونِ وَالرَّاحَةِ، وَالْفَجْرَ تَأْتِي فِي وَقْتِ لَذَّةِ النَّوْمِ. فَكَانَتِ الْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِمَا عَلَامَةً عَلَى صِدْقِ الْإِيمَانِ وَقُوَّةِ الصِّلَةِ بِالرَّحْمَنِ.



وَلِصَلَاةِ الْفَجْرِ أَثَرٌ بَالِغٌ فِي نَشَاطِ الْإِنْسَانِ وَطِيبِ نَفْسِهِ وَانْشِرَاحِ صَدْرِهِ؛ فَالْمُؤْمِنُ حِينَ يَسْتَيْقِظُ لِذِكْرِ اللَّهِ، وَيَتَوَضَّأُ، وَيُؤَدِّي صَلَاتَهُ، يَبْدَأُ يَوْمَهُ بِالطَّاعَةِ وَالذِّكْرِ وَالسَّكِينَةِ.

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَثَرِ ذَلِكَ فِي النَّفْسِ، فَقَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْـــدَةٍ مَكَانَهَا: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُـــقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ». فَهَكَذَا يَكُونُ أَهْلُ الْفَجْرِ: نُفُوسٌ مُطْمَئِنَّةٌ، وَهِمَمٌ مُتَجَدِّدَةٌ، وَأَيَّامٌ تَبْدَأُ بِبَرَكَةِ الطَّاعَةِ.

وَلَا تَقْتَصِرُ ثِمَارُ الْفَجْرِ عَلَى الْأَجْرِ الْأُخْرَوِيِّ وَالْأَثَرِ الرُّوحِيِّ فَحَسْبُ، بَلْ تَمْتَدُّ إِلَى حَيَاةِ الْإِنْسَانِ وَسُلُوكِهِ؛ فَالِاسْتِيقَاظُ الْمُنَظَّمُ يُعَوِّدُ النَّفْسَ الِانْضِبَاطَ وَحُسْنَ تَدْبِيرِ الْوَقْتِ، وَيُعَلِّمُهَا تَقْدِيمَ الْأَوْلَوِيَّاتِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ الْبُكُورِ وَالْإِنْجَازِ.



وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «بُورِكَ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا». وَهُوَ وَقْتٌ نَفِيسٌ لِطَلَبِ الْعِلْمِ، وَالْحِفْظِ، وَالْمُطَالَعَةِ، وَإِنْجَازِ الْأَعْمَالِ؛ حَيْثُ يَكُونُ الذِّهْنُ أَكْثَرَ صَفَاءً، وَالنَّفْسُ أَكْثَرَ اسْتِعْدَادًا، مَعَ مُرَاعَاةِ حَاجَةِ الْجَسَدِ إِلَى النَّوْمِ الْكَافِي وَالرَّاحَةِ الضَّرُورِيَّةِ.

فَيَا رجل الفجر، يَا مَنْ تَتَطَلَّعُ إِلَى الْمَعَالِي، وَتَحْلُمُ بِالْقُوَّةِ وَالنَّجَاحِ، لَا تَحْرِمْ نَفْسَكَ هَذِهِ الْكُنُوزَ الْعَظِيمَةَ، وَلَا تَجْعَلِ النَّوْمَ وَالسَّهَرَ وَالْكَسَلَ سَدًّا يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَيْتِ اللَّهِ. فَإِنَّ الْفَجْرَ مِيدَانُ الْهِمَمِ، وَمَوْعِدُ الصَّادِقِينَ، وَبِدَايَةُ طَرِيقِ الْفَلَاحِ.

وَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ تَضْيِيعِ الصَّلَاةِ وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مَرْيَمَ: 59]. وَمِنْ صُوَرِ إِضَاعَةِ الصَّلَاةِ التَّفْرِيطُ فِي أَوْقَاتِهَا وَتَأْخِيرُهَا عَنْ وَقْتِهَا، فَكَيْفَ يَرْضَى الْمُؤْمِنُ أَنْ يَحْرِمَ نَفْسَهُ هَذَا الْفَضْلَ، وَيُفَوِّتَ عَلَيْهَا هَذَا الْأَجْرَ الْعَظِيمَ؟!



كَيْفَ نُحَافِظُ عَلَى صلاة الفجر؟

إِنَّ الطَّرِيقَ إِلَى الحفاظ على صلاة الْفَجْرِ يَحْتَاجُ إِلَى صِدْقِ النِّيَّةِ، وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ.

وَفِي مُقَدِّمَةِ ذَلِكَ أَنْ يَمْلَأَ الْمُسْلِمُ قَلْبَهُ بِصِدْقِ الرَّغْبَةِ فِي لِقَاءِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَأَنْ يَعْزِمَ عَزْمًا صَادِقًا عَلَى الِاسْتِيقَاظِ لِلصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ، وَمَنْ صَدَقَ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ غَلَبَهُ النَّوْمُ أَحْيَانًا فَلَا يَقْنَطْ، بَلْ يُجَدِّدْ عَزْمَهُ وَيَسْتَمِرَّ فِي الْمُجَاهَدَةِ.

وَمِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ ذَلِكَ تَرْكُ السَّهَرِ الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِيهِ؛ فَالسَّهَرُ الطَّوِيلُ أَمَامَ الشَّاشَاتِ، وَالِانْشِغَالُ بِالْهَوَاتِفِ، وَمُتَابَعَةُ الْمُشَاهَدَاتِ التَّافِهَةِ، وَالْجُلُوسُ مَعَ الْأَصْدِقَاءِ إِلَى سَاعَاتٍ مُتَأَخِّرَةٍ، كُلُّ ذَلِكَ يُثْقِلُ الْجَسَدَ وَيُضْعِفُ الْهِمَّةَ. فَلْيَجْعَلِ الْمُسْلِمُ لِنَفْسِهِ وَقْتًا مُنَاسِبًا لِلنَّوْمِ، وَلْيَتَذَكَّرْ أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مِنْ رِجَالِ الْفَجْرِ فَلَا يَجْعَلْ لَيَالِيَهُ مَضَاعَةً فِي اللَّغْوِ وَالْغَفْلَةِ.

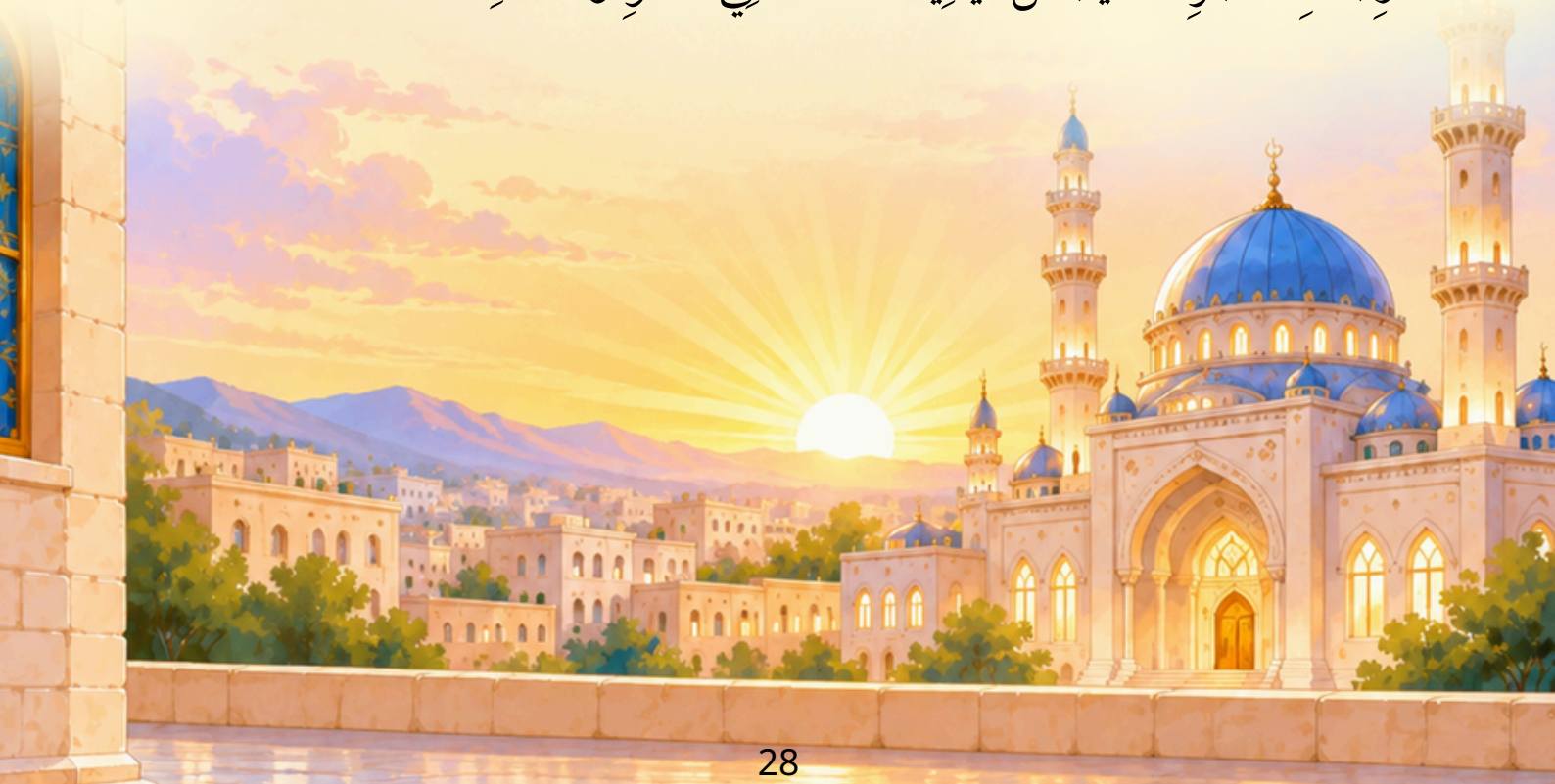

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ تَرْكُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، خُصُوصًا ذُنُوبَ الْخَلَوَاتِ وَالنَّظَرِ الْمُحَرَّمِ؛ فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُثْقِلُ الْقُلُوبَ، وَتُضْعِفُ الْهِمَمَ، وَتَحْرِمُ الْعَبْدَ لَذَّةَ الطَّاعَةِ وَحَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ، فَلْيُطَهِّرْ قَلْبَهُ مِنْ أَوْسَاخِ الذُّنُوبِ، وَلْيُكْثِرْ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ.

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَغْفَلَ الْمُسْلِمُ عَنِ الْأَسْبَابِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي تُعِينُهُ عَلَى الِاسْتِيقَاظِ؛ كَالنَّوْمِ عَلَى طَهَارَةٍ، وَضَبْطِ الْمُنَبِّهَاتِ فِي أَوْقَاتٍ مُنَاسِبَةٍ، وَطَلَبِ الْمُسَاعَدَةِ مِنَ الْوَالِدَيْنِ أَوِ الْإِخْوَةِ أَوِ الْأَصْدِقَاءِ لِإِيقَاظِهِ، وَالِاسْتِعْدَادِ لِلصَّلَاةِ قَبْلَ النَّوْمِ؛ فَالْمُؤْمِنُ يَجْمَعُ بَيْنَ صِدْقِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَحُسْنِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ.

وَفَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ، يَبْقَى الدُّعَاءُ سِلَاحَ الْمُؤْمِنِ وَمِفْتَاحَ التَّوْفِيقِ؛ فَلْيَسْأَلِ الْعَبْدُ رَبَّهُ أَنْ يُحَبِّبَ إِلَيْهِ الطَّاعَةَ، وَيُعِينَهُ عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ، وَلْيُلِحَّ فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافِر: 60]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الْعَنْكَبُوت: 69].



فَلْتَكُنْ صَلَاةُ الْفَجْرِ عُنْوَانَ الْهِمَّةِ، وَشِعَارَ الثَّبَاتِ، وَبِدَايَةَ كُلِّ يَوْمٍ جَدِيدٍ؛ وَلْيَكُنْ فتيان الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ يَسْبِقُونَ إِلَى بُيُوتِ الله، وَيَتَنَافَسُونَ فِي الْخَيْرَاتِ، وَيَجْمَعُونَ بَيْنَ صَلَاحِ الْقُلُوبِ وَقُوَّةِ الْأَجْسَادِ وَعُلُوِّ الْهِمَمِ.

فَرِجَالُ الْفَجْرِ هُمْ الذين تَعَلَّقَتْ قُلُوبُهُمْ بِاللَّهِ، وَعَظُمَتْ غَايَتُهُمْ، وَسَمَتْ هِمَمُهُمْ، فَجَعَلُوا مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ بَدَايَةَ طَرِيقِهِمْ إِلَى الْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.



الفوائد الصحية للاستيقاظ لصلاة الفجر

* ضبط الساعة البيولوجية (الإيقاع اليومي): الاستيقاظ المبكر والتعرض لضوء الفجر الطبيعي يعيد ضبط الساعة البيولوجية في الدماغ، مما يحفز إفراز هرمون الكورتيزول بنسب صحية تمنح الجسم النشاط واليقظة، ويُحسّن جودة النوم ليلاً من خلال تنظيم إفراز هرمون الميلاتونين.

* تعزيز صحة القلب والأوعية الدموية: قطع النوم الطويل المتواصل بالاستيقاظ والحركة الخفيفة (الوضوء والصلاة) ينشط الدورة الدموية، ويقلل من لزوجة الدم وتراكم الصفائح الدموية، مما يخفض خطر الإصابة بالجلطات القلبية والدماغية التي ترتفع احتمالية حدوثها في ساعات الصباح الباكر.

* تنشيط الجهاز التنفسي والدماغ: تبلغ نسبة غاز الأوزون (O_3) في الهواء النقي ذروتها عند الفجر، واستنشاق هذا الهواء المنعش ينشط الجهاز التنفسي، ويرفع كفاءة تزويد الدماغ بالأكسجين، مما يحسن التركيز والذاكرة والقدرة على الإبداع.



* تقوية الجهاز المناعي: الانتظام في النوم المبكر والاستيقاظ فجراً يقلل من مستويات التوتر المزمن، ويعزز إنتاج الخلايا المناعية المسؤولة عن مقاومة الالتهابات والأمراض.

* تحسين الصحة النفسية والمزاج: الهدوء المحيط بوقت الفجر، مقترناً بالسكينة الروحية والوضوء، يخفض مستويات القلق والتوتر، ويمنح شعوراً بالإنجاز والسيطرة على اليوم منذ بدايته.

* دعم عملية الأيض (التمثيل الغذائي): الاستيقاظ المبكر يشجع على تناول وجبة الإفطار في وقت صحي، مما ينشط حرق السعرات الحرارية وينظم مستويات السكر في الدم، ويقلل من فرص السمنة واضطرابات الجهاز الهضمي.

ولتحقيق أقصى استفادة صحية، يُنصح بالنوم المبكر ليلاً للحصول على كفاية الجسم من الراحة، وتجنب السهر والتعرض للشاشات.




مكتبة جيل للأطفال